

تفسير ابن كثير

ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولالء وغير ذلك وقال بعضهم : أرسلت بلبنة من ذهب والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما : أرسلت جوارى في زي الغلمان وغلمان في زي الجوارى فقالت : إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي قالوا : فأمرهم سليمان فتوضؤا فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء وجعل الغلام يغترف فميزهم بذلك وقيل بل جعلت الجارية تغسل باطن يدها قبل ظاهرها والغلام بالعكس وقيل بل جعلت الجوارى يغسلن من أكفهن إلى مرافقهن والغلمان من مرافقهن إلى كفوفهم ولا منافاة بين ذلك كله وإنا أعلم وذكر بعضهم أنها أرسلت إليه بقدر ليملاه ماء رواء لا من السماء ولا من الأرض فأجرى الخيل حتى عرقت ثم ملأه من ذلك وبخرزة وسلك ليجعله فيها ففعل ذلك وإنا أعلم أكان ذلك أم لا وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية ولا اعتنى به بل أعرض عنه وقال منكرا عليهم { أتمدون بمال ؟ } أي أتصنعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم ؟ { فما آتاني إني خير مما آتاكم } أي الذي أعطاني إني من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه { بل أنتم بهديتكم تفرحون } أي أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف .

قال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هـ : أمر سليمان الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة فلما رأته أرسلها ذلك قالوا : ما يصنع هذا بهديتنا وفي هذا جواز تهيو الملوك وإظهارهم الزينة للرسول والقصاد { ارجع إليهم } أي بهديتهم { فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها } أي لا طاقة لهم بقتالهم { ولنخرجهم منها أذلة } أي ولنخرجهم من بلدتهم أذلة { وهم صاغرون } أي مهانون مدحورون فلما رجعت إليها أرسلها بهديتها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت هي وقومها وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة معظمة لسليمان ناوية متابعتة في الإسلام ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومهم عليه ووفودهم إليه فرح بذلك وسره